الكتاب

تأليف : نورمورات ساريجانوف

ترجمة : رمزي يسي

ارسلني معهد الآداب التابع لأكاديمية العلوم للبحث عن المخطوطات والكتب القديمة ، تطوح بي القدر الى صميم صحراء كاراكوم . ووصلت في أحد الأيام الى مزرعة لتربية الأغنام تقع في بقعة منخفضة بين الرمال . وقد أثار وصولي الى ذلك المكان الفصول المعتاد في مثل هذه الأحوال . وحاول كل من هناك ان يعرف من انا ، ومن أين اتيت ، وسبب مجيئي الى مزرعتهم فأوضحت لهم كل ذلك .

وقال لي رئيس المزرعة الذي استضافني ان حارة المحرر قلمورات — انما يملك كتابا من الكتب القديمة التي جئت للبحث عنها ، فهو كتاب نادر يستحق أن يسعى المرء الى الحصول عليه والاحتفاظ به في صندوق من الذهب .

ووجدت قلمورات — أنا في بيته ، وهو رجل مسن ذو لحية ملفته للنظر تغطي كل صدره ، فرحب بي ترحيبا رقيقا ، ولكن عينيه الحادتين ، عيني صياد السهوب ظلتا تحدقان في طوال الوقت ، واخيرا قال لي برقة :

— اشرب من الشاي ايها الشاب الطيب ، ثم لم يلبث ان انهال علي بالاسئلة :

— من أين انت ؟

فاجبته عن سؤاله

— أين ولدت ؟ اين تقيم قبيلتك ؟ وماذا تعمل ؟

ورويت له قصة حياتي في ايجاز ، واخبرته أن معهدا من معاهد البحوث ارسلني للبحث عن الكتب النادرة .

فقال : « آه ، هذا شيء عظيم »

واخذ يمشط لحيته الطويلة وهو يتفرس باهتمام في وجهي مرة أخرى ، ثم التفت الى زوجته وقال :

— ناوليني الكتاب .

ونهضت المرأة المحور واخرجت من كيس مصنوع من السجاد معلق على احد قوائم الخيمة ، مجلدا ضخما ملفوفا بقماش حريري ذي الوان زاهية ، وقدمته لزوجها في وقار كأنه ذخيرة مقدسة . وتفرس قلمورات — أنا في وجهي مرة أخرى ثم بدأ حديثه قائلا : « ان كانت مهمتك حقيقية كما ذكرتها فانك ستعرف قيمة هذا الكتاب على الفور »

كان الكتاب ... المجلد الضخم الثقيل مربوطا بقماش بال لايزال يحمل

دقيقا رسوم الارهار والحرية الذين ، وعلى كل صفحة من صفحاته بحسب عشرين سطرا مكتوبة بمداد أحمر في أول الكراس ، من الخطوط العربية المتقنة الواضحة ، ويبدو ان الكاتب الذي نسخ الكتاب يعرف حسابيا مهمته على الوجه الأكمل ، فقد كانت الحروف على أبعاد متساوية ومتسعة كبدور البيات في حرائها ، كما يبدو واضحا أن الكتاب قد تداولته أيد كثيرة لأن أوراقه باهتة وعليها آثار اصابع لا حصر لها ، تركت بصماتها السوداء على هوامش الكتاب .

وقلبت أوراق المخطوط وأمعنت النظر في كثير من اللهفة بين سطوره ... لعلي من ذلك الطراز الذي قضى أصبحاب مهمتي ليالي سماهرة في البحث عنه ، وتسلقوا من مزرعة الى مزرعة يطرقون آلاف الأبواب ... وربما أكون قد زرت مئات من القرى فلم أعثر على مخطوط آخر مثل هذه النسخة ، ولكني حاولت اخفاء اعجابي بها ما وسعني ذلك ، وسرعان ما أدركت أن فلمورات ـ أعلم يعرف قدر الكنز الذي يحتفظ به ، اذ قال لي : « ان كل كلمة من هذا الكتاب تساوي باقة ، ولكني أحسبه قرأت فقرات منه بصوت مرتفع ، فاذا به يذكر ما يليها من سطور ، من الذاكرة ودون تلعثم ، ثم أضاف : « والآن هل توافقني على أن هذا الكتاب يستحق ان يوضع في صندوق من الذهب كما قلت لك ؟ » .

ثم مضى يتغنى بقصيدة يظهر أنها كانت من القصائد المحببة الى نفسه ، ثم قال لي وهو : « ما رأيك في هذه ؟ انك كلما أمعنت فيها انشدادا كلما استحوذت على وجدانك » .

قد كان معها تماما ، ومع ذلك فقد تحيرت كيف أستطيع الحصول على هذا الكتاب ، وكان من الواضح أنه لن يبيعه أبدا ، كما كانت روحته وتابعه يقدران الكتاب قدرا عاليا مثله تماما ، وقررت ان أتظاهر بعدم الاكتراث وغيرت مجرى الحديث فسألته عما اذا كان قرمه عازمين حقا على الانتقال الى « أمو داريا » حيث يستقرون هناك في مقتبل زراعة » ، فأجاب الرجل المحبور عن سؤالي ثم سرعان ما تحول الى موضوع الكتاب الذي كان يفخر بملكيته ، وحرصه عليه وعندئذ تركته الى رئيس المزرعة اصحح برايه ، قلت

ـ « قل لي كيف استطيع التحايل عليه ، لأنني أخشى الا يسمح لي بصور منه فضلا عن بيعه لي ؟ » .

ـ « ان كنت شديد الرغبة في الحصول على الكتاب فما عليك الا ان تتحايل عليه أنت بنفسك حتى تنجح ، أما أنا فاملي قليل في نجاحك ، ولا أستطيع معاونتك » .

في ذلك المساء ذهبت لزيارة فلمورات ـ أعلم مرة أخرى فرحب بي ترحيبا كبيرا ثم قال

ـ « اني واثق أن من يرى كتابي مرة ، فانه لابد أن يعود الى ... انك لست أول من فعل ذلك ولن تكون الاخير » ، ثم ناولني الكتاب وهو يقول

« ها هو ذا الكتاب ، اقرأه ان شئت »

وكان لابد لي من الاشارة الى الغرض من زيارتي على الأقل ، فبدأت حديثي وأنا أتحسس طريقي الى اقناعه ، فقلت

ـ « هل تحفظ هذا الكتاب عدة اعداد طويلة ؟ » .

ـ « اربعون عاما . » ـ نعم يا بني »

ـ آه . وهـذا هو السبب في أنك تحفظ بعض أشعاره عن ظهر قلب ؟ » .

فصحح عبارتي قائلا

ـ « لا . ليس بعض اشعاره وحسب بل كل اشعاره كلمة كلمة ، فانا استطيع ان اتلو جميع اغانيه بترتيب كتابتها من الغلاف الى الغلاف . لان كلماتها منقوشة في ذاكرتي » .

وسكتت عنها فلورات ـ أعنا ناجيتي ، وشعرت بارتباك شديد . وحاولت السيطرة على احرار صوتي وانا اقول له « اطلب اي ثمن تريد في مقابل هذا الكتاب ؟ » .

واعترى الرجل العجوز تغير طفيف . فقد اتسعت عيناه وامعنا امانا غريبا . وامتقع وجهه وكسـاه الاصفرار . وارتعدت روجته . وخطف فلورات ـ أعنا الكتاب من يدي وناوله لها وهو يقول في حزم « ابعديه عن هنا » .

ثم نظر الي وجهي مرة أخرى وقال بصوت رقيق « ايها الشاب الطيب . الم تجبرك روجتي وانا . ان هذا الكتاب لن يفلت من بين ايدينا ، انك صبية وأضحك من أعماق قلبي الا تقتني الكتاب » قال واقتنيته أنا ، فسترقص روجتي ، وان رقصت هي فلن ارقص أنا وكذلك لن يوافق أحد من رجال المزرعة ... حتى في أثناء المجاعة لم يساورنا أي تفكير في بيع الكتاب » حين لم يكن في بيتنا كسرة خبز .

وقرب فلسـلا لم تاج حديثه ؟ » يتكلم بصمته .

« هل أروي لك كيف حصلت عليه ؟ انني لم اذكر ذلك لأحد من قبل ، ولن تجد أحدا يعرف هذه القصة سواي أنا وروجتي » .

واحد يروي قصته ، فقال

« انني في الخامسة والستين ، أي ان هذا الكتاب في حوزتي منذ اربعين عاما ، وكنت آنئذ راعيـا للاغنام كما كنت دائمـا ، ولم اكن قد رايت كتابا في حيـاتي ... وبينـما كان الأمر هكذا تزوجت وأقمت خيمة لعائلتي واشتريت ماشية . ولما كنت مقبلا على مواجهة الحياة فقد قررت قضاء الشتاء في مخرن علال ، وحملت ماشيتي صوبا وشرقا ورحلت الى « اركاتش » وهي في الجزء الجنوبي من تركمانيا . ولما كنت لا أعـرف أحدا هناك فقد قضيت ليلتي في بيت الرجل الذي اشتري مني الصوف والفحم ، وكان موسرا مشهورا بين قومه . وامتلا بيت الرجل في المساء بالصوف القادمين من المزرعة ... شبـان وشيوخ . وقد احتشد أحدهم الى جانبي بأناقة ملفتة ووجهه الأحمر المكتنز ولحيته العريضة وقال له المحتشمون « ايها « الملا الموقر » تلتمس منك ان تقرأ لنا شيئا وناولوه كتابا . ولكن (الملا) رفض رجاءهم . وقال ان مؤلف هذا الكتاب رجل مجنون وغير أديب . اهلا رأسه بافكار دنيوية . وكتابه هذا يعلم الشر والرذيلة . وخير لكم أن اقرأ عليكم من كتابي هذا ... »

واحـرج محطوظا من تحت ردائه . وشرع احدهم للملا يهديه فاذعن لطلبهم ولكن الصبيوف رفضـوا ذلك بعناد .

وظل يقرأ حتى جاوز منتصف الليل بساعات عدة ، واستمعت اليه في رهبة وسعيت كل شيء تحت الشمس ، ولم أعرف ماذا دهاني ، فكيف يمكن لرجل يجلس هناك وينظر في صفحات من الورق كأنها تحمل قصة حياته ؟ ولكني عندما أصغيت عن قرب تبين لي أنها أشبه ماتكون بقصة حياتي أنا ، مست الكلمات البسيطة أعماق قلبي ، ولم أكن أتحمل قط أن كتابا ما يبلغ هذا الحد من الاثارة أو يستطيع أن يتحدث عن الحياة بكل هذه الحكمة فيجعلك تشعر بكل شيء وتفهمه ، ولقد فكرت كما تفكر أنت اليوم ، في أن مثل هذه الأشياء لا تشترى أو تباع ، ولا يمكن أن نحدد لها قيمة أو ثمن على الاطلاق ، وكان قلبي يتحرق شوقا ، وقلت في نفسي ، اذا كان لهذا الكتاب ثمن أستطيع أن أدفعه ، فلابد لي من شرائه .

وفي صباح اليوم التالي سألت صديقي عما اذا كان الكتاب الذي قرأه عليها (الملا) بالأمس باهظ الثمن . فأجابني وهو يضحك ، « ان هذا الكتاب ليس له ثمن محدد ، فهو ليس متداول سيدتي او كيس فحم ... انه شيء يتعذر تقدير ثمنه » .

فالححت عليه أن يحاول بكل وسيلة تقدير ثمنه ، فتبادل صديقي النظرات مع رجل آخر كان بالغرفة ثم ضحك وقال ، « ان ثمنه يساوي ناقة ... ناقة جيدة » .

ولعله كان يمزح ، ولكني تمسكت بكلمته وشعرت بالابتهاج ، وقررت دون تردد ، التنازل عن ناقتي التي حملتني الى « أركانش » في مقابل الكتاب ، وقلت :

« حدد ناقتي ، وهي باقة لطيفة ، وسميرها ، واعطني الكتاب » .

فوافق على ذلك قائلا : « حسن جدا ... اترك ناقتك وخذ الكتاب واذهب في رعاية الله » .

وهكذا ألقيت آخر نظرة على ناقتي ، ووضعت الكتاب بين طيات ثيابي وسرت على الأقدام ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى وصلت الى موطني مهدود الجسم متورم القدمين حيث قابلني روحي محمد الباب بصيحة عالية :

« اين ناقتنا ؟ ماذا فعلت بها ؟ » .

فأجبته : « انتظري ، خير لك أن تبتهجي لا أن تبكي ... لقد قدمت لنا ناقتنا خيرا كثيرا ... لقد منحتنا هذا ... » ، وابتهجت الكتاب قائلا : « انظري ... ان كل كلمة فيه تساوي ناقة » .

ـ وتفرست روحتي في الكتاب وتحسسته بحنينها ومسحته مصدقة أنها أمام شيء مقدس ، ثم تحصنته من شيء من الارتياب والحيرة دون أن تعرف هل تضحك أم تبكي ، وعرفت أنها لابد كانت تذكر الناقة « فقد كنا فقيرين » ، وكانت الناقة قوام حياتنا وأملنا الوحيد في الحياة .

وروت لها قصة تلك الليلة حين كان يقرأ لنا « الملا » الكتاب ، وكيف كنا نصغي اليه جميعا حتى انني لم أستطع في مكاني لحظة لشدة انفعالي . وتلهفت عليها كلمات مما علق في ذهني ، فامتلأت عيناها بالدموع وهي تقول :

ـ « لقد بعت الناقة دون مقابل ، وذهب أملنا الوحيد » .

ـ وشعرت فجأة بالحزن لشرائي الكتاب ، فمادا أفعل ؟ لقد افترح على شخص ما أن الجأ الى رجل كنا نعتبره حكيما وسألته أن يدلني على من يستطيع قراءته ، فسألني في دهشة : « ولكن كيف وصل الى يدك هذا الكتاب ؟ »

قلت : « لقد اشتريته ، ولكن بثمن بخس » .

فابتسم لي وهز رأسه في شيء من الاشفاق وقال : « حتى لو كنت أجيده دون مقابل ، فأية فائدة ترجوها منه ، ومن سيقرأ لك هذا الكتاب » .

ـ وسارت الأمور من سيء الى أسوأ ، واستطلعت رأي غيري من الرجال في المزارع المجاورة ، فكانت الاجابة التي لم تتغير هي « انك راع فقير ، فأي عبث هذا الذي تحمله في رأسك !! » وعدت الى بيتي حيث كانت روحتي داخلة البكاء والثرثرة ، فتناولت كبرى ووضعته في كيس ، ودفعته تحت كومة من أشياء أخرى ، وقلت في نفسي : « لعل العين لا تقع عليه هنا ، ولعلني أستريح من القلق ! » .

وهكذا ظل الكتاب في مكانه عاما عامين .. سبعة أعوام وظلت روحتي تبدي باقتنا طوال هذا الزمن ! « آه ، كم كانت باقتنا لطيفة ... باقة ولود لو بقيت لكان لدينا منها ثلاثة اطفال ولأصبحنا الآن أثرياء فلا نقوم لهموم الدنيا وزنا » .

وقالت روحتي يوما بينما كنا نشرب الشاي : « ان الملا ، أو الايشان هو الذي يستطيع القراءة ، فمن الخير أن نرسل ابنا ، موراتجان ، الى واحد منهما يعلمه حتى يستطيع القراءة » ويقال ان أكتشي ـ ايشان أكثر الناس علما ، فلنرسل اليه ابنا ليتعلم القراءة والكتابة في خمس سنوات ، وبذلك نحل مشكلتنا في داخل بيتنا دون ما حاجه الى التماس العون من الخارج .

لقد ابتهجت لكلمات روحتي ، بل انا نفسي كنت راغبا في تعلم القراءة والكتابة مهما كلفني ذلك ، وصحبت الصبي الى أكتشي ـ ايشان ، وكان الصبي آنئذ في الثامنة من عمره .

وقلت له : « قدمت اليك من بلد بعيد ، ولي عندك رجاء متواضع ... هل استطيع أن أعهد اليك بتعليم ابني القراءة والكتابة ؟ ومادام عندك ، فليكن كما يقول المثل ، جسمه لك وعظمه لي ، فاضربه ان احتاج الأمر ، وليعمل ماتريده أن يعمل ، ولا أريد الا أن تعلمه وحسب » .

وشجعني الايشان بقوله :

ـ « لقد أحسنت باحضار ابنك الى ، فمن أكل من ملحي لابد أن يبشأ رجلا ذا اعتبار ، وستري مادا سأصنع منه ... انك لن تعرفه حين تعود بعد أربع سنوات » .

وصدقت الايشان ، وعدت الى موطني عن أصحاب الأمل ، وقلت لزوجتي :

ـ « لا تحزني ، فسنقضي أربع سنوات كيفما تكون ، ثم سنرين هل كنت محظا أم لا ؟ » .

.. ومضت ثلاث سنوات وبضعة شهور ، وظننت موراتجان قد تعلم شيئا ، فسافرت اليه فمادا رأيت ؟ رأيت ابني يعمل من الفجر الى المساء ..

لم يتعلم قراءة ولا كتابة ؛ بل عجبت كيف لم يفقد عقله ... لقد انفجر بالبكاء حالما رآني

ـ وقال لي متوسلا : « خذني معك الى موطني ... ان الأكتشي ـ ايشان ليس جاهلا وحسب بل انه لا يعرف شيئا مطلقا عن العلم والتعليم .

ـ ولطمت الصبي على فمه اذ كان من الاثم أن يقال مثل هذا عن الايشان ؛ ولكن مورانجيان اردف نحيبا وهو يقول :

« اذا لم تأخذني الى وطني يا أبي فاني سأهرب !! لا أريد البقاء هنا »

ـ لقد ساورني القلق وصممت على الوقوف على جلية الأمر بنفسي ؛ ورت احد الخيران وسألته عن « الأكتشي ـ ايشان » .

ـ يظهر ان مورانجيان كان على حق حين قال انه بحاجة الى التعلم . ذلك ان ايشان لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة ، ولكن الغريب في الأمر أنه اقوى بكثير من الملا المتعلمين ؛ ولعل سبب ذلك انه ينتمي الى اسرة قوية كانت تشتهر باعمال السحر فيما مضى ؛ فكان سكان القرية لا يذكرون اسم احد من افرادها الا في كثير من الخوف ؛ ولم يجسر احد أن يتحدث عنهم بسوء ، ولكن اي نوع كان هذا السحر ؟؟

لقد قص علي الخيار مرة معجزة حدثت في المزرعة ؛ وهي أن ملاحا سرق حمارة من الدريس من حد الأكتشي ـ ايشان وحملها على ظهره ومضى الى بيته ؛ ولكنه لم يستطع ان ينزع حمله من على ظهره ؛ فنادى ابنه لينزعها فعجز أيضا . ولما ينس اللص عاد الى الحقل ليرد ما سرق . ولكن حمله ظل عالقا بظهره ؛ فاخذ يتحول في القرية نادما على فعلته الى أن بلغ بيت صاحب الحمل فدخل وتوسل اليه ان يغفر له ذنبه قائلا « لقد ارتكبت اثما يا ايشان ـ اغا وظلت طوال الليل أحمل اثمي على ظهري ونفسي حزينة معذبة . فلتغفر لي ذنبي ليخف الي ... دع الدريس يغادر ظهري » .

فغفر الايشان للص وارسله الى المكان الذي سرق منه ، فسقط عنه حمله بكلمة واحدة منه .. ان الأكتشي ـ ايشان يستخدم الملح في سحره ، ويكفيه ان ينفخ في قصعة من الملح ويردد بعض الكلمات السحرية لكي تحمل العاقر ويشفي المريض » .

وعندما سمعت هذا استشر رأيي على الا أترك ابني ليتعلم النفخ في الملح ، فصحبته معي الى موطني وجعلته يعمل بالاجر في رعي الماشية . ومرت سنوات عدة . ثم رحلنا الى مراعي جديدة ، وعدنا في الخريف الى هذا الوادي ، وكان الكتاب قابعا في مكانه داخل الكهف ، وكنت أحرمه بين حين وآخر لاقلب صفحاته في حزن وأسى ... كنت أجلس كما كان يجلس الملا وأمسك بالكتاب بين يدي كما كان يفعل ، واشير الى كلماته باصبعي ، ولكن الكتاب كان يظل صامتا ... لم يكن يفعل شيئا غير اثارة الحزن في قلب روحي فتقول « لو لم تفعل ما فعلت لكان لديك الآن قطيع من الابل !! »

وتابع فلوران أغا حديثه قائلا « ثم أقبل اليوم السعيد حين وصل سلطان السوعيين الى المزارع ، وأقبل عليها المدرسون يحملون الكتب ، وجاء الى مزرعتنا معلم ، وأخذ يجمع الصغار

والكبار الراغبين في تعلم القراءة . واستطالتي عند النقطة الأولى فحدثته عن كتابي ، فطلب الي أن اعيره اياه يوما أو يومين ، وحين اعاده قال لي

«لقد حققت صفقة رابحة بالفلورات — اعا فهو من أنفس كتب التركمان المخطوطة ارسل ابنك الى مدرستي فأعلمه القراءة والكتابة . ولي اعهد اليه بجمع الحبوب أو جلب الماء ، او أنني لست بحاجة الى الأيدي العاملة ... سيذهب ابنك الى المدرسة لعدة سنوات ، ثم يجلس هنا في بيتك ليقرأ هذا الكتاب لوالده ووالدته »

وحدث موراتجيان هنالك في السهوب يرعى الماشية ، فطلبت منه ان يعود الى الدراسة ، وقلت له « عندما تتعلم القراءة ستقرأ لأبيك الكتاب الثمين الذي يحتفظ به منذ سنين »

— ولم يكن موراتجيان راغبا في شيء من هذا ، فأجابني قائلا « لا ، لا اريد رؤية الملا ولا الاشقاء مرة أخرى .. »

— فأفهمته أن سلطان السوفييت قد وصل الى المزارع والمدن ، وسوف لا تستطيع روحة أكبشي — ايشان أن تكلفك بجلب الماء ، وان المدرس الجديد لن يكون الملا ، وان الحكومة الجديدة قد ارسلت الى المزرعة مدرسا لتعليم الناس » ونجحت أخيرا في اغراء موراتجيان بالذهاب الى المدرسة واستطاع أن يعيش بيننا ويساعد امه ، ويتعلم القراءة والكتابة شيئا فشيئا . وأصبح ولدنا موراتجيان الآن مديرا لمزرعة السواد العذارة في المنطقة المجاورة .

وعندما تعلم ولدنا القراءة ، أخرجت الكتاب وقرأه لنا من الغلاف الى الغلاف ، وأدركت أخيرا أن الكتب لا تكتب في السماء ، بل ان معانيها في متناول أفهامنا ، وحتى هذا الكتاب يضم أناشيد كنا نغنيها نحن الرعاة في اقليم السهوب ، ولكن معظم الأشعار تتحدث عن الخير والشر والحق ، وشجاعة الانسان حين يدافع عن سعادته .. وعلمت أخيرا أن الملا الذي قرأ الكتاب لم يوضحه لي ، ولكن حين قرأه ابني وحين في بيتنا أحسست بثقل ماتضمنه من جمال وعندئذ فقط اقتنعت روحتي وجميع سكان المزرعة أن فلورات — اغا قد أحسن صنعا حين باع نافته مقابل هذا الكتاب .

والآن ايها الشاب اللطيف ، لعلك عرفت ماقاسيناه طوال تلك السنين ، فمن يجرؤ على أحد منى بعد أن يعرف كل ذلك ؟ اليك الكتاب الآن ... اقرأه كما تشاء ، ولأطول وقت تريد ، ولكن لا تحاول انتزاعه مني .

وانتهى فلورات — اغا من قصته بعد منتصف الليل بوقت طويل ، ولم تجد أية محاولة لانتزاع الكتاب ، حتى أنه لم يصبح الى حين طلبت اليه أن يعيرني هذا المخطوط لأطبعه كتابا في مدينة « أشخاباد » فيستطيع بذلك كل واحد من فلاحي المزرعة الحصول على نسخة منه ، على أن اعيد اليه المخطوط بعد شهرين أو ثلاثة . وراجتني العبث أن أتحدث اليه في هذا الشأن مادام الكتاب يؤثر في كل شيء في حياته . ومع ذلك انتهزت فرصة موائية فتحادثت معه أطراف الحديث

— فلورات — أغا !

— نعم

ـ انني سالتمس منك جميلا تسديه الي .

ـ اي جميل أيها الشاب ؟

ـ ان سمحت أن تبيعني ... ؟

ـ فقاطعني ضاحكا ، وهو يمشط لحيته الطويلة بكلتا يديه ، ولكنه لم يعصب في هذه المرة لأنه لم يحمل حديثي محمل الجد ، وقال

ـ « لا ، ياصديقي العزيز ، لن أبيعه ، ففي هذه الحياة أشياء ليست للبيع »

ـ « ولكل شخصا آخر سيق أن باعها لك » .

ـ « لقد كان هو الخاسر ! ثم ضحك مرة أخرى

كنت اريد أن يتساكد قلمورات ـ أعا اني لا استطيع أن أرحل صفر اليدين ، ولذلك تحدثنا طويلا ، حديثا جادا ، وأخيرا قال في اشفاق

ـ « أيها الشاب الطيب ، ان كل كتابي يروقك الى هذا الحد ، فاجلس هنا واسمع منه صورة » .

ومكثت أسبوعين بالقرب من مدفاة قلمورات ـ أعا أسمع مخطوطته الثمينة ، وكان يجلس بجانبي في معظم الاوقات يملي علي من الذاكرة ، وكان يتاملني أحيانا وأنا أؤدي واجبي . وكثيرا ماكان يقول :

« لقد تعلمت القراءة قليلا ، ولكني أخشى ألا أستطيع الكتابة مطلقا » ويردد هذه العبارة مرات .

وكانت زوجته تقدم لنا الشاي الأخضر ونوعا من الخبز يطلقون عليه (الشوريك) ، وتحضر لنا بين حين وآخر ابريقا من شراب قوي يصنع من لبن الابل بعد تخميره ... واصبحنا صديقين .

ان القصائد التي احتفظ بها قلمورات ـ أعا اربعين عاما كتبها شاعر تركماني شهير اسمه « محترم كولي » وهو الذي وضع أساس كل آداب التركمان القديمة .